

مفردات المعجم الثقافي في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها

Cultural lexicon of teaching Arabic to non-native speakers

د. مؤمن العنان

الجامعة الشعبية - مملكة السويد

malannan@gmail.com

تاريخ النشر: 2020-10-31	تاريخ القبول: 2020-10-17	تاريخ الإرسال: 2019-08-15
-------------------------	--------------------------	---------------------------

ملخص:

تتناقش هذه الورقة تصنيف المفردات العربية التي يبني عليها في تعليم العربية لغة ثانية والموضوعات التي تندرج تحتها النصوص والمفردات، ودور الثقافة في توصيل المفاهيم القيمة للمجتمعات، بأنماطها وصورها المتنوعة، بهدف تطوير بنية معجمية للمفردات العربية تساعد المعلمين والباحثين والمعدّين لكتب تعليم العربية وبرامجها في إدراك تصنيفات المعجم اللغوي حسب الأغراض الثقافية من تعليم العربية لغة ثانية، الذي يشكل محوراً في التطوير التواصلية في بنية برامج تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها. أضف إلى ذلك إبراز الحدود والروابط البيئية لصور وأنماط الثقافات وفق المعجم الحضاري أو التواصلية أو الإسلامي أو القومي أو غير ذلك. وفي الختام فإن هذه الورقة تسهم في تطوير قياس المعجم اللغوي لاكتساب الكفاءة الثقافية في تعلم العربية لغة ثانية. ثم التوصيات.

كلمات مفتاحية: مفردات، العربية، الناطقين بها، لغة ثانية، كفاءة، ثقافة، تواصلية، مهارات، محتوى ثقافي.

Abstract:

This paper discusses the classification of Arabic vocabulary upon which teaching Arabic as a second language and topics of texts are based. The research also focuses on the role of culture in communicating the various valuable concepts of societies. It aims to develop a lexical structure for Arabic vocabulary that may help teachers, researchers and book and curricula makers to understand the cultural objectives of teaching Arabic as a second language. Moreover, we want to highlight the different cultural types in accordance to the cultural, communicative, Islamic or national lexicon. Finally, we try to contribute to the

development of the linguistic dictionary in order to acquire a cultural competence in learning Arabic as a second language, and we conclude with some recommendations.

Key Words: vocabulary, Arabic, native speakers, second language, competence, culture, communicative, skills, cultural content.

مقدمة:

إن الكفاءة في تعلُّم اللغة العربية تتوقف على تحصيل الكفاءات الثلاثة: اللغوية والثقافية والتواصلية، ولا يتمكَّن مُتعلِّم العربية من الكفاءة في مهارات اللغة وتطبيقات عناصرها من مفردات ونصوص وتدرّيبات دون محتواها الثقافي، فاللغات البشرية عبارة عن حدود ثقافية بها تتغايّر الحضارات الإنسانية وبها تتمايز، وهي التي تشكل الحواجز بين الأمم كما تفعل الحدود السياسية والجغرافية عندما تُعزّل الأوطانَ وتُغلِّقُ على الأقبام والشعوب، فهي تُطوِّق أهلها بقواعد التفكير والتعبير وتأسرهم بقيد الثقافة والقيم.

تندرج المضامين الثقافية في مكونات العملية التعليمية لتعليم اللغة العربية بمهاراتها وعناصرها، ولا بد أن تندمج العناصر الثقافية للغة الهدف في عجلة التعلم والتعليم، لأنها مساحة التطبيق والتدريب، وبدونها لن يكون ثمة بناء لغوي أو سياق، ولن يتحقق إتقان للمهارات اللغوية بمعزل عن السياق الثقافي، والتفاعل مع أبناء اللغة العربية لن يصبح ممكناً إلا بإتقان تلك المهارات اللغوية ضمن سياقها الثقافي الذي لم توجد المهارات اللغوية أصلاً بدونه، ولهذا عدّ كثير من الباحثين الثقافة ركناً من أركان تعلم اللغة، إذ لا تقوم المهارات ولا العناصر اللغوية إلا بها، ولا تتحقق الكفاية التواصلية بدونها.

بات تعليم الثقافة في العقدين الأخيرين أساساً محورياً في تعليم اللغة الثانية بالتوازي مع النهج التواصلية، وأصبح المحتوى الثقافي بمثابة الجملة العصبية التي تبعث الحياة في الكيان اللغوي، وتشكل المهارة التواصلية النواقل

العصبية التي تتداخل مع جميع مُكوّنات عناصر اللغة، وقد لخص براون (Brown 2000) العلاقة المتشابكة بين اللغة والثقافة بقوله: "اللغة جزء من الثقافة، والثقافة من مكونات اللغة، وكلاهما متشابك بشكل معقد بحيث لا يمكن للمرء أن يفصل بين الاثنين دون أن يفقد أهمية اللغة أو الثقافة".⁽¹⁾ بل بات تعليم الثقافة مصاحباً للكفاءة التواصلية، وربما في كثير من الأحوال أصبح للثقافة دور مُعدّ في مداخل التعليم وطرقها والأنشطة والتدريبات على تحصيل المهارات اللغوية من الاستماع والمحادثة والقراءة والكتابة، وقد أحرزت تجارب تعليم العربية لغير الناطقين بها في العقدين الأخيرين تقدماً ملحوظاً في نقد الأدوار المختلفة التي تضطلع بها عمليات التعليم والتدريب، وباتت آليات النقد قوية نسبياً بما يعود على نُظم تعليم العربية لغير الناطقين بها بالضبط والإتقان، وخرجت مقاربات كثيرة بين تطبيقات تعليم العربية عموماً وتعليم المهارات اللغوية خصوصاً، والدور المحوري الذي تضطلع به الثقافة من بين تلك الركائز الأساسية في عمليات تعليم العربية لغير الناطقين بها. ومن تلك المقاربات تطبيقات المبادئ التوجيهية التي قدمتها أهم المعايير الدولية في تعليم اللغات الأجنبية، التي تطورت بشكل كبير في العقد الأخير إلى الاعتراف بأهمية الدور الثقافي في تعليم اللغات، واعتبار ثقافة اللغة الهدف جزءاً مرتبطاً باللغة لا يكتمل النسيج اللغوي برمزيته ومنظومته دونها، حتى

⁽¹⁾ ينظر: Brown, H. Douglas (2000). Principles of Language Learning and Teaching, PP. 177.

صارت من ضروريات برامج تعليم اللغات، وبات دمج المحتوى الثقافي للغة عند تعليمها من أركان عمليات تعلّم اللغة وتعليمها في جميع أنحاء العالم.⁽¹⁾

إنّ اللّغة حاصل تراكم هائل من التفاعلات الاجتماعية، والتي هي بدورها تثري المحتوى اللغوي فلا يمكن تعلم اللغة دون ثقافتها ودون معرفة بقيم مُتحدثيها الفكرية والمعرفية والاجتماعية، بل إن صمتنا وحركاتنا وإشاراتنا ورموزنا وضحكنا وآلامنا واهتماماتنا كل ذلك مرتبط بشكل ما بثقافتنا، فما يفرحنا قد يكون محزنًا لأبناء ثقافة أخرى، وما يضحكنا قد يبكي غيرنا، وما يؤلمنا قد لا يعني بالضرورة شيئًا لأبناء لغات أخرى، والعكس صحيح، كما لا يمكن فصل الطُرف المضحكة أو النكات المؤلمة أو التعبيرات الساخرة عن خلفياتها الثقافية ولا عن دورها الكبير في التعبير عن الآلام والأحزان أو السعادة والاهتمام، وكذلك الأمر بالنسبة للعزاء وطقوسه، والحِداد وتقاليدَه، والأفراح وأساليبها، والآراء وما وراءها من مرجعيات ثقافية وقيم راسخة في المجتمعات، لأن ثقافات المتعلمين تختلف عن ثقافة اللغة الهدف، وهذا كله يتجلى في تطبيقات اللغة والممارسات اللغوية، وهو من أهم

⁽¹⁾ من أهم الأطر الدولية لقياس جودة تعليم اللغات: الإطار المرجعي الأوربي المشترك لتعليم اللغات، والمشتهر بـ (CEFR)، والمبديء التوجيهية التي أصدرها المجلس الأمريكي لتعليم اللغات الأجنبية (ACTFL). ومعيار وكالة المائدة المستديرة (ILR) المنبثق قديمًا عن الخارجية الأمريكية، حيث انضوت تحته أهم الجمعيات الأمريكية لتعليم اللغات. وغيرها من المعايير التي حررت أطرًا قياسية لتعليم اللغات الأجنبية نظرًا لتعدد الثقافات في البيئات التعليمية ببلدانهم ومؤسساتهم، وجميعها غير مخصص للغة ما، وإن أهم ما تميز به بينيًا هو البعد الثقافي وقوة تداخله بالمهارة التواصلية.

الجوانب التي ينبغي أن تُدرّس لمتعلمي اللغة الثانية ويُدرّبوها عليها، كي يتمكنوا من التواصل مع أبناء اللغة الهدف ويعتبروا ثقافتها عند التواصل ليفهموا مراداتهم، ويلتقوا في أفكارهم.⁽¹⁾

معجم ألفاظ اللغة العربية لغير الناطقين بها:

من المعلوم أن اللغة لا تُدرّس لذاتها، وإنما سعيًا للوصول إلى محتواها الثقافي والمعرفي ضمن نسقها التواصلية والرمزية، وإن مفردات اللغة العربية تندرج في سياقاتها الثقافية والمعرفية، ومن أعظم ما تتميز به اللغة العربية سعة خزائنها اللفظي والتعبيري الذي ينبثق عن ثروتها الثقافية والأدبية، ويمكننا تصنيف مفردات اللغة العربية في معجم موضوعي، بحيث نجعل الألفاظ العربية حسب سياقاتها التداولية ومحتواها الثقافي، وهذه التصنيفات الموضوعية للمفردات تشكل معجمًا يبنى عليه البناء اللغوي والثقافي الذي تقوم عليه عمليات تعلم العربية لغير الناطقين بها، وتجري عمليات الترشيح للمفردات وفق الإطار الموضوعي الذي يشكل غايات التعلم، وهو بمنزلة الثروة اللفظية والسياقية التي تحفل بها مفردات الكتب المدرسية ونصوصها وتدريبات المساقات التعليمية في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها. وهذه التصنيفات هي:

⁽¹⁾ ينظر: الدليل التدريبي في تدريس مهارات اللغة العربية، (تدريس الثقافة، إسلام علي الحدي)، 384.

أولاً: معجم مفردات التواصل اليومي

يعدُّ هذا الغرض الموضوعي من أهم أغراض تعلم العربية من الكبار غير الناطقين بها، وهو المطلب الأول للمتعلمين مع أبناء العربية في نواحي الحياة التواصلية، وعلى الرغم من الجهود الكبيرة المتوفرة في تعليم العربية لغير الناطقين بها، خصوصاً في العقدين الأخيرين، فإن هذا الغرض على أهميته وضرورته يصعب معه توفر كتاب واحد يحقق للمتعلمين هذه الغاية بصورة معيارية ونواتج حقيقية في معظم البلاد العربية. وإن جميع المقيمين في البلاد العربية من الناطقين بلغات أخرى بغرض العمل أو المعيشة أو الدراسة، يشكل هذا الغرض عندهم أولوية قصوى في تعلم العربية لغة ثانية، إذ يحتاجون إلى التواصل اليومي في مختلف النواحي الاجتماعية والمدنية والتجارية والاقتصادية والسياسية والخدمية والمعيشية العامة.

تتميز مفردات هذا المعجم بحياديتها التامة، وربما تشترك في مفاهيم كثيرة من مفرداتها مع لغات أخرى من حيث مبناها، وهذه المفردات تندرج في تكوين المحتوى المعدّ لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في الحدود التواصلية مع أبناء العالم العربي، خصوصاً في العواصم والمدن العالمية ذات الطابع التعددي والتجاري والاقتصادي العالمي مثل: القاهرة ودمشق واستنبول والرباط ودبي والدوحة وغيرها، بحيث تستقطب تلك المدن العاملين والموظفين في مختلف القطاعات والمهن والأعمال ومن مختلف الجنسيات، وهذا يجعل المعلم بحاجة ماسة إلى مادة تعليمية توفر المفردات الحيادية التي يمكن أن توظف في جوانب

مختلفة من السياقات والنصوص، وهذه المفردات تشكل عصب المحتوى الثقافي العربي عند تعلم العربية لهذا الغرض التواصلي، فيكتسب المتعلم الكفاية الثقافية العربية المقتصرة على الأنماط التواصلية في السياقات التداولية اليومية، والتي تنتج فهم المواقف المحددة ضمن نطاق الاهتمام والقدرة على التفاعل اللغوي معها بوضوح وسهولة. وهذا النطاق من اللغة العربية يصعب معه تأطير البنى الثقافية الخاصة باللغة العربية، نظرًا لاشتراك المفاهيم المتضمنة في مفرداته مع مفردات لغات أخرى، فيصعب على متعلم اللغة فصل الأبعاد الثقافية بين لغته الأم واللغة الهدف.

وقد ساهم الباحث قبل عقد ونصف في إعداد كتاب من جزأين يحقق هذا الغرض التواصلي اليومي في تعليم العربية لغة ثانية، وسماه: "الكتاب التمهيدي في تعليم العربية لغير الناطقين بها"⁽¹⁾، وقد أسهم هذا الكتاب في تعليم العربية لشريحة واسعة من العاملين في الميادين الخدمية والصحية والتعليمية والتجارية والاقتصادية والاستشارية وخاصة في قطاعات المال والأعمال التجارية والشركات الدولية وموظفي الخدمات الدبلوماسية والقنصلية في عدد من الدول، نظرًا لاهتمامه بالغرض التواصلي وتكيزه على البنية التواصلية في تعليم العربية لغة ثانية بمحتوى تداولي يحقق صورًا صادقة وناجحة في التعبير عن المحتوى الثقافي

⁽¹⁾ الكتاب التمهيدي في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، (1-2) مؤمن العنان وآخرون، نشرته جامعة السلطان محمد الفاتح الوقفية في استنبول ضمن سلسلة اللسان، 2012. وقبل ذلك في مركز اللسان الأم في الإمارات العربية المتحدة.

العربي بواقعه الحي وبقيمه ومضامينه الأصيلة وأنماطه المتعددة على الرغم من حجمه الصغير نسبيًا.

ثانيًا: معجم مفردات التواصل الثقافي والمعرفي العربي

يشكل هذا المعجم من حيث موضوعاته المطالب العام لأغلب متعلمي اللغة العربية غير الناطقين بها، وذلك نظرًا إلى الحاجة التواصلية من اللغة، وعلى الرغم من ضرورة الاهتمام بالبنية الثقافية في مفردات هذا المعجم ونصوصه، إلا أن تلك النصوص والسياقات لا تحتوي على ألفاظ وسياقات خاصة بالمعارف الدينية أو الإثنية أو القومية أو التخصصية، فيتعلم اللغة العربية بعموماتها الفكرية وأنساقها الثقافية الكلية، دون تأطير بجانب تخصصي أو تجاري أو مهني محدد، يساعد المتعلم في ولوج الثقافة العربية بفهم واضح للصور والأنماط والأحوال الثقافية، لا سيما في التعبيرات والصياغات اللفظية، مع تصور الشكل الكلي للحضارة العربية الإسلامية دون الدخول في تفاصيلها وأبعادها وتخصصاتها، فيمتاز هذا المعجم بقيادته للمتعلم إلى ممارسة العربية بلغة ذات مفردات وصياغات وأساليب تداولية معاصرة يفهم من خلالها اللغة العربية ويمارسها ضمن حدود الاهتمامات الثقافية العامة، ويتحقق بإدراك الصورة الإجمالية للثقافة العربية بقيمها ومعارفها بوضوح تام، ودون الحاجة إلى مشاركة المعرفة الإسلامية بمفرداتها وتعبيراتها وصياغاتها ومصطلحاتها وأساليبها التي يحتاج تعلمها المسلمون غير الناطقين بالعربية، وخاصة طلاب العلوم الإسلامية.

بهذا المعجم الموضوعي تتخذ العجلة الثقافية بُعدًا تواصلياً واضحاً يسهل على المتعلم اكتساب اللغة الجديدة من خلاله، وتعين المعلم على تدريب المتعلمين على الاكتساب اللغوي بسهولة ووضوح، ومن ثم تساهم في عمليات التقويم ومعيارية النواتج الثقافية نظراً للبعد الكمي المتوفر من جهة ثالثة، وهنا يبرز التميز لدى المتعلم في اجتياز مرحلة التواصل باللغة العربية، مما يقوده إلى الاستمرار نحو المزيد من التعلم للعربية والدراسة التخصصية في علوم اللغة العربية أو العلوم والمعارف باللغة العربية سواء في العلوم الإسلامية أو التطبيقية أو الإنسانية أو غيرها.

ومن أهم الكتب المدرسية والسلاسل التعليمية التي أسست لهذا النوع من مفردات التواصل الثقافي والمعرفي العربي، "سلسلة اللسان في تعليم العربية لغير الناطقين بها" وهي سلسلة تعليمية في ستة أجزاء توزعت في ثلاثة مستويات، متدرجة من المبتدئ إلى المتقدم، وقد بُنيت موضوعاتها وفق التصنيفات العالمية للمعارف البشرية، ومنها تصنيف ديوي العشري، ثم بثت مفردات المعجم الثقافي والتواصلية والمعرفي في تلك الموضوعات ونصوصها وتدريباتها وسياقاتها التعبيرية، فتفردت بتقديم تصنيف معجمي لمفردات التواصل الثقافي والمعرفي، الذي يحتاجه كل متعلم للعربية لغة ثانية، وقد أعدها الباحث مستعيناً بفريق كبير من الخبراء والباحثين والمعلمين حيث تكاملت مهاراتهم وتخصصاتهم في إنجاز هذه السلسلة التعليمية، وقد استغرق إعدادها زمناً زاد على ثماني سنوات، ونشرتها جامعة السلطان محمد الفاتح الوقفية في استنبول سنة 2011، وقد ساهمت هذه

السلسلة في تحديد إطار التواصل الثقافي المعرفي اللازم من مفردات اللغة العربية بشكل واضح وميسر للمعلم والمتعلم، وتمكنت من توظيف تلك المفردات في سياقات وأساليب مبسطة مكّنت المتعلم من تحقيق غاية التواصل بسهولة ويسر، على خلاف كثير من الكتب والسلاسل التعليمية التي وفرت سياقات ونصوص تمزج أنواع المفردات من خلال التركيز على الموضوع النصي والسياقي بغض النظر عن الضبط النوعي لمفرداته، مما شكل عقبة أمام تحقيق الغاية التواصلية الثقافية والمعرفية، وهذا التوظيف لمفردات المعجم الثقافي التواصلية أبرز هذه السلسلة وميزها عن نظيراتها، وتسبب في اختيارها المادة التعليمية الأولى في تعليم العربية لغة ثانية في عدد كبير من الجامعات والمؤسسات التعليمية في العالم، بعد انتشارها في جامعات الجمهورية التركية، والتي تعتمد مقررًا تعليميًا لتعليم اللغة العربية في السنة التحضيرية لدى كليات العلوم الإسلامية والإلهيات بعض الكليات الأخرى.⁽¹⁾

ثالثاً: معجم مفردات الحضارة الإسلامية

يشكل هذا المعجم بمحتواه الغرض الأساسي لتعلم المسلمين غير الناطقين بها اللغة العربية، لأن لغة المعرفة في الحضارة الإسلامية إنما هي اللغة العربية، على الرغم من تطور عجلة التنظيم في عهد الدولة العثمانية واعتماد ثلاثة لغات

⁽¹⁾ سلسلة اللسان في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها (1-6)، مؤمن العنان وآخرون، جامعة السلطان محمد الفاتح الوقفية، استنبول، 2011.

في التواصل في المناطق التي تتكلم باللغة العثمانية قبل أن تتحول إلى اللغة التركية الحديثة بعد إنهاء الإنجليز الخلافة العثمانية في بدايات القرن الماضي، إلا أن كل لغة من هذه اللغات الثلاثة تختص بجانب محدد؛ فالعربية كانت لغة العلوم الشرعية والإنسانية والتطبيقية، والعثمانية كانت لغة الإدارة والقضاء، والفارسية كانت لغة الأدب والفنون، وذلك لثراء كل لغة من هذه اللغات الثلاثة بالجوانب المحددة لها، ويشهد لهذا تصنيفات المخطوطات في مكتبات المخطوطات في الجمهورية التركية وهي ضخمة جدًا. فالمسلمون يقصدون تعلم اللغة العربية لأنها لغة الدين والمعرفة والحضارة الإسلامية، وإن مفردات المعجم الحضاري في المعارف الإسلامية إنما هي مرتكز المحتوى المعرفي للحضارة الإسلامية وهي مطلب المسلمين الناطقين بغير اللغة العربية، والراغبين بدراستها بسبب ارتباطها بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والعلوم الشرعية وما يتفرع عن هذين الأصلين من معارف وفكر بنيت عليه حضارة وفكر ظل رائدًا بين الحضارات سرًا ينيير للإنسانية دربها، وهي مقصد بحد ذاته لملايين المسلمين. وقد ظهرت محاولات كثيرة لوضع كتب وسلاسل تعليمية تحقق هذا الغرض من تعليم اللغة العربية للمسلمين غير الناطقين بها، وبرزت تلك المحاولات في بعض المناهج الدراسية والمواد التعليمية لتعليم العربية في كثير من المدارس الإسلامية المنتشرة في البلاد العربية والإسلامية، واتخذت تلك المحاولات أشكالاً تنظيمية جديدة بعد شيوع أنظمة التعليم الغربية في البلاد العربية والإسلامية، فاستند كثير من الدول الإسلامية في بناء منظوماتها التعليمية الحديثة على الدول الغربية، فقامت بعض الجامعات

السعودية، وبعض المدارس الباكستانية وغيرها بوضع سلاسل لتعليم اللغة العربية تحقق هذا الغرض، وهو تعليم المسلمين اللغة العربية تمهيداً لتعليمهم العلوم الإسلامية في جامعاتها، ومن هذه السلاسل التعليمية:

• "الكتاب الأساسي في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها" وقد أعدته لجنة من العلماء في جامعة أم القرى بمكة المكرمة، وقامت ببناء الكتاب على دراسة المفردات الشائعة في الفكر الإسلامي وسميت تلك الدراسة "قائمة مكة للمفردات الشائعة"، وقد أعدتها لجنة من العلماء برئاسة الدكتور تمام حسان، وكذلك قامت على دراسة معجمية وثقافية، أعدّها الدكتور رشدي طعيمة، ساهمت في تأسيس تلك السلسلة التعليمية أطلق عليها "الأسس المعجمية والثقافية في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها". وقد عمل على إعداد تلك السلسلة ثلة من العلماء المتخصصين في اللغة العربية واللسانيات والتربية والتعليم وتعليم اللغة الثانية منهم: حسان تمام، ومحمود كامل الناقة، ورشدي أحمد طعيمة وغيرهم، ونشرتها بعد ذلك جامعة أم القرى في مكة المكرمة.

• "سلسلة تعليم اللغة العربية" في جامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض، وهي سلسلة ضخمة أعدّها فريق كبير من المعلمين والمتخصصين وتدرجت في أربعة مستويات، وتحت كل مستوى اندرجت كتب عدة، بلغت اللغوية منها ثلاثين كتاباً تقريباً، وزادت الدينية فيها على عشر كتب، بالإضافة إلى الكتب المصاحبة من معاجم مفردات وأدلة تعليمية.

رابعًا: معجم مفردات الهوية الوطنية أو القومية

وهذا مطلب أبناء العربية، لتعلم اللغة العربية باعتبارها لغة أم، فيكون تعلمهم للعربية في الغالب مبنياً على مفردات حضارية مستمدة من تاريخ الأمة وفكرها، بهدف ترسيخ القيم الوطنية أو المحلية أو القومية بحسب الفئة الدارسة للغة العربية، ويندرج تحت هذا القسم المناهج الرسمية في تعليم اللغة العربية المُعدّة من قبل وزارات التربية والتعليم ومؤسساتها التعليمية في البلاد العربية عموماً. وهذا التصنيف خارج عن نطاق هذه الورقة وإنما ذُكر هنا إتماماً لأنواع مفردات المعجم الثقافي في تعليم اللغة العربية.

خامساً: معجم المفردات التواصلية والثقافية والهوية القومية

يلبي هذا المعجم حاجة أبناء العربية الناشئين في بلاد المهجر أو في بلاد غير ناطقة باللغة العربية أو بلاد متداخلة اللغات متعددة الثقافات، كما هو الحال في تركيا وماليزيا وأروبا وشمال أمريكا، حيث انتشر فيها ملايين العرب الذين يحتاجون إلى كتب ومناهج لتعليم أبنائهم اللغة العربية والثقافة بحيث تبرز انتماءهم الفكري والديني والوطني وتعزز من هويتهم الأم. وهذا خارج نطاق الدراسة أيضاً وذكر لإتمام التصنيف.

ولا يجد الباحث ما يمنع من جمع المنهاج التعليمي مفردات هذه المعاجم الثقافية الخمسة، أو بعضها كما في المعجم الخامس منها، إن ظهرت الحاجة له، بحيث تدرج الغايات الخمسة بنسب متوازنة، وصور صادقة، وحسب احتياجات

المتعلمين، وبنسق يراعي الأهداف المتوخاة، ويحدد الجُرع الثقافية التي تساهم في تكوين الهوية، بتناغم وانسجام مع الواقع الذي يعيشه المتعلم دون تداخل في تقديم ثقافة البيئة التي يعيش فيها وثقافة اللغة الأم التي يتعلمها بنسجها المستقل.

وعلى الرغم من اشتراك جميع اللغات في الوظيفة التواصلية إلا أن اللغة العربية تتميز عن غيرها بمميزات فارقة نظراً لعمق ديوانها الثقافي، وثراء مخزونها اللفظي الذي يعكس ضخامة المكنون الأدبي والفكري، ولهذا السبب نلاحظ الضعف الشديد عند متعلمي العربية بالشكل المعاصر أو النمط المسمى "اللغة العربية المعاصرة" وربما يصل الضعف إلى العجز عن التواصل باللغة العربية ضمن سياق معرفي بلغة عربية سليمة، أو التواصل بنفس الدرجة من العمق في أي من الحقول المعرفية والميادين العملية الرائجة في العصر الحالي، ومثاله: لو جُمع عدد من علماء الأديان، ليتحدث كل واحد منهم بلسان قومه عن موضوع "الجنة" مثلاً، لتفاوتت أوصافهم اتساعاً وضيقاً، أو في موضوع "الوجود" لتباينت أوصافهم ومفاهيمهم واتسعت دون حدود، ومثل هذا التفاوت المعرفي ناتج حتماً عن تفاوتٍ في ما يتضمنه معجم كل لغة من مفردات ترتبط بالموضوع الموصوف.⁽¹⁾

دون اللغة العربية سيختفي أضخم تراث حضاري عرفه الإنسان، ولا تزال المعارف البشرية في عجز عن بلوغ حدود ما وصلت له المعارف الإسلامية، وبغير اللغة العربية ينقطع التواصل الحضاري فلا يبقى فكر السلف حياً في

⁽¹⁾ ينظر: لسان حضارة القرآن، الأوراغي 41-44.

الحقول المعرفية، وكأن أصحاب الحضارة الإسلامية لم يبدعو في ميادين الآداب والفلسفات والعلوم والمعارف، ولا كانت لهم الريادة في العلم والرياضيات والطب والفلك والجغرافيا ولا برعوا في العلوم الإنسانية كاللسانيات والاجتماعيات والشرعيات والتاريخ ولا شاركوا البشرية في الابتكارات ولا صححوا أخطاء الذين سبقوهم في الكيمياء والفيزياء والبصريات والطب والتشريح والصيدلة والجغرافيا والفلك، وعلم الأحياء ولا ابتكروا فنون الصناعات والعمارة والزراعة وغير ذلك من فروع المعارف البشرية المخزونة في وثائق معرفية مكتوبة باللغة العربية.⁽¹⁾

إن التراث اللغوي العربي أشمل وأوسع مما قدمه اللغويين العرب كالخليل بن أحمد وسيبويه وابن يعيش وابن مالك وابن هشام وغيرهم. فهو كل عمل عربي وضعه العرب القدماء من أجل تفسير النص القرآني والأحاديث النبوية الشريفة، والنصوص العربية الأخرى التي تحمل أصول الفكر العربي وأدواته، والموروث الأدبي الضخم بشعره ونثره، والنقد العلمي والأدبي للنواتج التراثية المخزونة في ديوان هذه الأمة الثقافي، وبالتالي فإن مصادر محتوى لغتنا الثقافي أبعد بكثير من مجرد كتب لغوية، فهو يضم:

1. كتب النحو وشروحه التي تعالج قواعد بناء الكلام العربي وتراكيبه وسلامته.
2. كتب الصرف وشروحه التي تعالج بنية اللفظ العربي واشتقاقته وتطوراتها.
3. كتب البلاغة والبيان وعلم المعاني التي تدرس الدلالات اللغوية والاصطلاحية.

⁽¹⁾ ينظر: دور التراث في بناء الحاضر وإبصار المستقبل، عمران سميح نزال، 260-265. والتراث العربي الإسلامي، مؤمن العنان وزملاؤه، 38-44.

4. دواوين العرب الشعرية والشروح التي تناولتها.
5. مصنفات العرب وموسوعاتهم الأدبية النظرية بأنواعها وفروعها الأدبية.
6. كتب تجويد قراءة القرآن الكريم، التي تدرس الصوتيات العربية أو علم الصوت.
7. تفاسير القرآن الكثيرة والغزيرة في بيان التطبيقات الوظيفية للغة العربية.
8. كتب السنة النبوية المطهرة وشروحها الحديثية واللغوية والاستنباطية والآداب.
9. كتب الفقه والقوانين التشريعية الإسلامية بكافة مدارسها الفقهية وفروعها المذهبية.
10. كتب أصول الفقه وأصول استنباط الأحكام الفقهية وشروحها من جميع المذاهب.
11. كتب الفلسفة والمنطق والكلام وشروحاتها التي أضافت كثيرًا من المفاهيم والاصطلاحات.
12. الموسوعات المعرفية المختلفة التي كتبها عظماء الكتاب العرب، أمثال الجاحظ وابن عبد ربه وابن حزم الأندلسي وغيرهم.
13. المعاجم اللغوية كما هي الحال عند ابن منظور والجوهري والفيروز آبادي وابن فارس والأصمعي والزمخشري والقالبي وغيرهم.
14. كتب التاريخ والروايات الأدبية والطرائف كما هي الحال عند الطبري وياقوت الحموي والأصفهاني وابن خلدون وغيرهم.
15. السجلات والوثائق العلمية التراثية والمعاصرة التي تحفظ تاريخ الأمة وحاضرها وثقافتها.

16. الأعمال الفنية الحديثة والمعاصرة من المسرح والدراما وغيرها.
17. السلاسل الوثائقية المسجلة مرئيًا ومسموعًا من محطات التلفزة والشبكات الإعلامية العربية، والتي تحمل خصائص المجتمعات الثقافية، وكذلك المقابلات التوثيقية والمحاضرات والندوات الفنية والأدبية والأخلاقية والدينية والعلمية وغيرها.
18. السجلات والوثائق المدنية التي توثق أساليب حياة الناس وأحوالهم وأوضاعهم الاجتماعية.

إن السبب الأبرز في عدم نجاح بعض الكتب والمناهج التعليمية التي أعدت لتعليم العربية لغة ثانية، أنها أدرجت في بنيتها الثقافية بعض الأنماط والمضامين البعيدة عن الثقافة الأصيلة والواقعية، كما هو الحال في بعض المناهج التعليمية التي أُعدت بمحتوى ثقافي غير عربي، ثم يليها تلك التي أعدت لتعليم العربية من خلال لغات وسيطة كي تغطي على الثقافة العربية بأصالتها وواقعيتها، فلم تنجح في تجاوز المتعلمين منها عتبة التواصل بالعربية، فيتحول عندئذ تعليم اللغة العربية إلى مجرد دراسة معلومات عن اللغة، وهذه النتيجة تقوض المخرجات التعليمية والهدف الأساسي من تعلّم اللغة، وتقطع صلة المتعلم بالفكر والثقافة المقصود من تعلم اللغة.

دمج المفردات اللغوية في المحتوى الثقافي:

إن المنهج المعني بتعليم اللغة العربية يجب أن يحقق إدخال المفردات العربية في سياقات لغوية بمنهجية وتراتبية وضعية مناسبة للغرض الثقافي المقصود من برنامج التعليم، وأن يبرز انتماء تلك المفردات إلى الميدان الثقافي

العربي الذي يتم تداول تلك الألفاظ فيه، إذ كل مفردة تعتبر حدًا مجملًا لمفهوم معين، وتعريفها حدّ مُفصّل، وتركيبها معلومة مستفادة، ومقدار المعلومات المتجمعة حول أي موضوع بعضٌ من ديوان اللغة الثقافي. والمعجم اللغوي بحكم طابعه والغاية منه ليس إلا قائمة من الألفاظ التي تمثل تجارب المجتمع، وبالتالي لا يمكن أن يكون مُعجم لغةٍ واسعًا وديوانها الثقافي ضيقًا، والعكس صحيح، وعلى قدر إغناء المعجم يتحدد مستوى النمو الثقافي للغة.

يتطلب تعليم العربية لغة ثانية بناء المحتوى اللغوي السليم، فالألفاظ وأنواعها والأدوات ومدلولاتها والتعبيرات وأساليبها، إنما تحمل دلالات ترتبط مباشرة بالأنماط والأساليب التي تعارفها العرب في تواصلهم، وتداولوها في تقييم أوضاعهم وأحوالهم الثقافية والاجتماعية، واعتمد اللسان العربي على تلك الأوضاع اللغوية ذات الطبيعة التواصلية في التعبير عن المصطلحات والمفاهيم والأحوال. ومراعاة ذلك في عجلة الدفع بالبيانات اللغوية إنما يبدأ من المعجم اللفظي الذي يجعل سير عجلة الاكتساب اللغوي متوازنة وتدور بانسيابية تحقق التكامل بين البنى اللفظية والمفاهيم الثقافية، فترتبط صور الألفاظ وطريقة التعبير عنها بالحالة الثقافية المتداولة في البيئة اللغوية، وكلما كانت الحالات الثقافية وصورها أصدق في التعبير عن المحتوى الثقافي كلما ترسخ التدريب اللساني المطابق للصور والأنماط المحسوسة والمشاهدة، فنتحقق فيه معيارية الوصف عند مطابقة السمع للبصر كما

قال القيرواني "وأحسن الوصف ما نعت به الشيء حتى يكاد يمثله عياناً للسامع".⁽¹⁾

لقد سبق للباحث شرح مقياس المخرجات الثقافية في تعليم العربية لغة ثانية،⁽²⁾ ووضع مؤشرات لقياسها ضمن مستويات ثلاثة هي: **معرفة الثقافة** (Cultural Knowledge) ثم **الوعي بالثقافة** (Cultural awareness) وأخيراً: **الكفاءة الثقافية** (Cultural Competence)، وفي هذه الورقة بين الباحث ضرورة دمج تعليم المفردات بالمحتوى الثقافي، من خلال الأقسام الخمسة للأغراض الثقافية في تعليم اللغة العربية، والتي شرحها الباحث في هذه الورقة، وذلك وفق الإطار الذي يحقق دمجاً قياسيًّا للمحتوى الثقافي في مستوياتها الثلاثة، وعندها يمكن تقييم المفردات وإدراجها كمًّا ونوعاً في سلم تعليم العربية وارتقاء تلك المستويات وصولاً إلى الكفاءة الثقافية التي هي المستوى الأعلى من مستويات تعليم الثقافة. فإدراك المعلم لدور المفردات ضمن السياق الثقافي، وتقديمه المفردات اللغوية مدمجة ضمن مستويات المحتوى الثقافي الثلاثة إنما يحقق أساساً مكيئاً للمتعلم في بناء اللغة العربية، والقدرة السريعة على تطبيقاتها ضمن المهارات اللغوية الأربع، وهذه الإجراءات إنما تشكل عنصراً مهماً في قياس الكفاءة

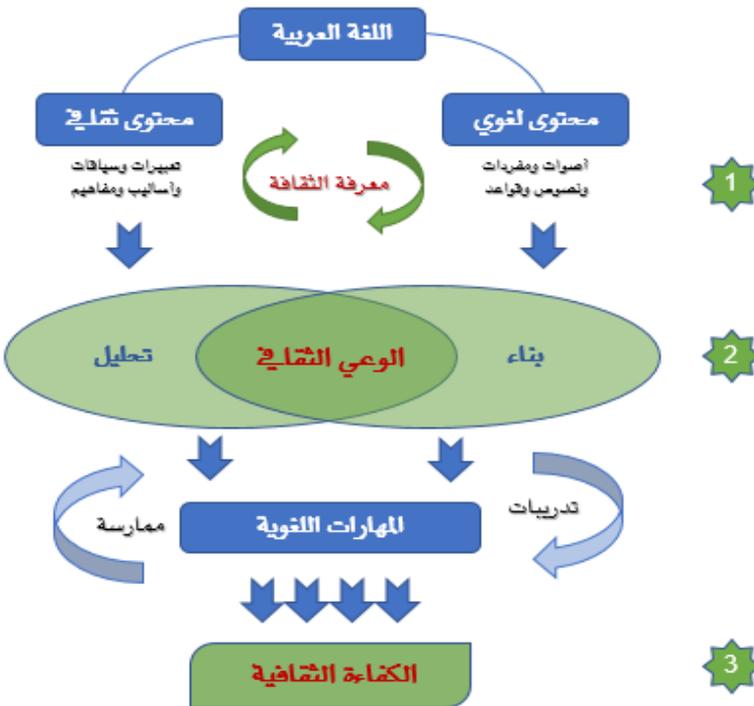
⁽¹⁾ ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني (463 هـ) 294/2.

⁽²⁾ ينظر: بحث المخرجات الثقافية في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها: معايير نواتج التعليم، مؤمن العنان، مجلة كلية العلوم الإسلامية في جامعة السلطان محمد الفاتح الوفاقية، العدد 2 شهر يوليو 2020.

مفردات المعجم الثقافي في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها

التواصلية واللغوية عند حصر المفردات اللغوية ضمن الموضوع والوحدة السياقية لجميع عناصر المحتوى من التدريبات والنصوص والتعبيرات، لأنها جميعًا تستند في عملية بنائها على المفردات والمعجم اللغوي الخاص بتلك الوحدة السياقية والهدف الثقافي، فتتحقق بذلك مؤشرات مهمة في عملية تقييم المستوى اللغوي والكفاءة الثقافية والتواصلية. وفي هذا المخطط التالي يوضح الباحث سير إجراءات الدمج الثقافي بين المفردات والسياقات لتحقيق التدرج في البنية الثقافية التي ساهمت المفردات اللغوية بتشكيل حدودها ونطاقاتها، مما يسهم في قياس عمليات التدريب والتقييم للوصول إلى جودة وتميز في تعلم العربية لغة ثانية وتعليمها.

مخطط الكفاءة الثقافية



وفي ختام البحث أراد الباحث إبراز حتمية المحتوى الثقافي في تحصيل الكفاءة اللغوية، وتوصل إلى ضرورة تصنيف المحتوى الثقافي في موضوعات تندمج فيها الأغراض الموضوعية الكلية من تعلم العربية لغة ثانية مع المفردات اللغوية في نطاقات ثقافية ولغوية تحقق تلك الغايات والأغراض. وصنف الباحث معجم المفردات الثقافية في خمسة أنواع وأعطى أمثلة على تلك الأنواع من المعاجم التي تحققت فعلياً ببعض الكتب والسلاسل التعليمية، وأبرز الدور الأساسي لنجاح تلك السلاسل والكتب عندما بُنيت على معجمية لفظية ضمن سياقات موضوعية، كما بيّن سبب عدم نجاح بعضها الآخر عندما ابتعد عن تلك السياقات ولم تتحقق في البناء المعجمي للألفاظ العربية ضمن إطار موضوعي واضح.

وخلص الباحث إلى أهمية دمج المفردات اللغوية في المحتوى الثقافي ضمن مقاربات بين الموضوعات وغايات التعلّم الكلية، وهذا الإجراء التطبيقي يقود إلى سلامة مخرجات قابلة للقياس وفق مقياس حدده الباحث وأشار إليه في قياس النواتج الثقافية.

ويوصي الباحث بضرورة البناء على مفردات المعجم الثقافي في عمليات التعليم وإعداد المواد التعليمية على السواء وإبراز دور المفردات الثقافية في قياس المخرجات الثقافية لبرامج تعلم اللغة العربية وتعليمها لغة ثانية.

والحمد لله رب العالمين

قائمة المصادر والمراجع:

1. الأسس المعجمية والثقافية في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، رشدي أحمد طعيمة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1982م - 1402 هـ.
2. البعد الثقافي في تعليم العربية لغة ثانية، حاتم عبيد، مجلة اللسانيات العربية، مركز الملك عبدالله الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، العدد الثاني لسنة 2015.
3. تدريس الثقافة بين النظرية والتطبيق، إسلام يسري الحدقي، الدليل التدريبي في تدريس مهارات اللغة العربية وعناصرها، مركز الملك عبدالله الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، 1439هـ-2017م.
4. التراث العربي الإسلامي: مقاربات ونصوص مختارة، مؤمن العنان وزملاؤه، مكتبة الفلاح، دبي 2016.
5. تعليم العربية بين البعد اللغوي والبعد الاجتماعي، مصطفى حركات، دار الآفاق، 2017م. (د.م).
6. حركة التأليف عند العرب، أمجد الطرابلسي، مطبعة الجامعة السورية، دمشق 1376هـ - 1956م.
7. دور التراث في بناء الحاضر وإبصار المستقبل، عمران سميح نزال، وزارة الأوقاف، قطر، الدوحة 2006.
8. سلسلة اللسان في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها (1-6)، مؤمن العنان وآخرون، جامعة السلطان محمد الفاتح الوقفية، استنبول، 2011.

9. العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط دار الجيل، بيروت 1981 م.
10. قائمة مكة للمفردات الشائعة، وحدة البحوث والمناهج في معهد اللغة العربية بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1401هـ.
11. الكتاب التمهيدي في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، (1-2) مؤمن العنان وآخرون، مركز اللسان الأم في الإمارات العربية المتحدة، 2010.
12. الكتاب الأساسي في تعليم العربية للناطقين بغيرها، وحدة البحوث في معهد اللغة العربية بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط3، 2008 م - 1429 هـ.
13. لسان حضارة القرآن، محمد الأوراعي، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2010م.
14. المخرجات الثقافية في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها: معايير نواتج التعليم، مؤمن العنان، مجلة مجلة كلية العلوم الإسلامية في جامعة السلطان محمد الفاتح الوقفية، العدد 2، شهر يوليو 2020.

ثانياً: المراجع الأجنبية

15. ACTFL, Integrating Communication in Language Instruction, Sandy Cutshall, The Language Educator, February 2012. URL: www.actfl.org
16. ACTFL, Integrating Cultures in Language Instruction, Sandy Cutshall, The Language Educator, April 2012. URL: www.actfl.org
17. Brown, H. Douglas (2000). Principles of Language Learning and Teaching, 4th ed. Longman.

18. CEFR 2018, Common European Framework of Reference for Languages: Learning, Teaching, Assessment. Companion Volume with New Descriptors, Language Policy Programme, Council of Europe. URL: www.coe.int/lang-cefr